Alienation traits in Sabah Al-Anbari theatrical texts (silent ritual as a sample)

Assistant Professor Dr. Hassan Abdel Moneim Al-Khaqani
University of Basrah / Basrah & Arabian Gulf Studies Center
E-mail: hasan.abdulmohsin@uobasrah.edu.iq

Abstract:

Humanity has gone through a lot of horrors, crises, and disturbances, some of which have had a great impact on the structure of his actions and behaviors, and since man lived in the wilderness and his responsibility is determined by providing food and clothing to him and his small family, his primary concern was to carry out his responsibilities in full, and when life evolved and the man moved to the life of great civilizations, he naturally seemed to wonder what was going on around him, and philosophy began to interpret his being within this. Existence and awareness worked in the attempts to have explanations for the benefit of its existence as long as nothingness and death lurked in it at every moment, and this trend crystallized in the modern era, the era in which the expanded production and major factories began and overlooked humanity the age of technology that began to destroy the human self, and the philosophers contributed to the interpretation and analysis of the feeling of alienation that is experienced by the contemporary human being and thus the book of novels, stories, and theatrical texts began to present their visions About the feeling of alienation from the society in which they live and this was reflected in the dramatic texts they wrote and included characters living in isolation and separation from society, especially the book of the delight...

Key words: Features, Mental Alienation, Sabah Al-Anbari

سمات الاغتراب في نصوص صباح الانباري المسرحية
(طقوس صامته انموذجا)

الأستاذ المساعد الدكتور حسن عبدالمنعم الخاقاني
جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي
E-mail: hasan.abdulmohsin@uobasrah.edu.iq

الملخص:

لقد مرت الإنسانية بالكثير من الأهوال والأزمات والإضطرابات التي كان لبعضها التأثير الكبير في هيكل تصرفاته و سلوكياته، ومنذ أن كان الإنسان يعيش في البرية ومسؤوليته يتم تحديدها بتوفير المأكل و الملبس له ولعائلته الصغيرة، كان همه الأساس القيام بواجباته على أتم وجه، وحينما تطورت الحياة وأنتقل الأنسان إلى حياة الحضارات الكبرى بدأ بطبيعة الحال التساؤل عما يجري حوله فبدأت الفلسفة في تفسير كينونته في ضمن هذا الوجود وأشتغل الوعي في محاولات وجود تفسيرات لفائدة وجوده ما دام العدم والموت يتربصان به في كل لحظة، وقد تبلور هذا الاتجاه في العصر الحديث، العصر الذي بدأ فيه الإنتاج الموسع والمصانع الكبرى واطل على الإنسانية عصر التكنولوجيا التي بدأت بتدمير الذات الإنسانية، واسهم الفلاسفة في تفسير وتحليل شعور الاغتراب الذي ألم بالإنسان المعاصر، و عليه بدأ كتاب الروايات و القصص و النصوص المسرحية في تقديم رؤاهم حول الشعور بالاغتراب عن المجتمع الذي يعيشون فيه وأنعكس ذلك في النصوص الدرامية التي كتبوها و ضمنوها شخصيات تعيش حالة العزلة والانفصال عن المجتمع، ولاسيما كتاب المسرح الذين غادروا أوطانهم ليعيشوا في غربة دائمية، وطدت هذه الغربة حالة الاغتراب لديهم، وكان الكاتب العراقي صباح الأنباري من بين الكتاب الذين ضمنوا شخصيات نصوصهم المسرحية سمات الاغتراب و مظاهره .

كلمات مفتاحية : السمات، الاغتراب، صباح الأنباري.

تمهيد:

إن الانسان بحكم تكوينه الفسيولوجي والسايكولوجي لا يحيد عن المجتمع في علاقاته واهتماماته بتشكيل منظومة من العلاقات بينه كفرد و بين المجموعة التي تحيط به في الاطار العائلي و المعرفي، فيكون سلوكه كفرد ضمن جماعة معينة متماشيا مع سلوكيات الجميع و حينما يكون هناك انفصال بين الفرد و المجتمع فان الاغتراب النفسي والعقلي لابد له ان يحدث آجلاً أو عاجلاً، إذ ستنعدم الألفة وينحسر التوافق بين الكيانين الفردي والمجتمعي، وبذلك فان المغترب داخلياُ أو خارجياً يعاني من إحساس ملتصق به كونه فاقداً للانتماء الى عالم يتحرك من حوله بشكل دائم، مما يؤثر عليه كعنصر اجتماعي.

إن الكثير من الأدباء و المفكرين و المثقفين العراقيين قد غادروا العراق متجهين الى الفيافي و القفار للبحث عن الأمن والأمان والحرية، ولكن أولئك الذين بقوا في العراق شاركوهم في نقطة أساسية ألا وهي الشعور بالغربة عن ما يحيطون بهم من مكونات اجتماعية، فكان الإحساس واحدا و الشعور بان لا هدف لحياتهم و لا معنى لوجودهم، و من هنا كانت النصوص التي كتبت سواء أكانت في داخل العراق أم في خارجه تشير إلى وجود معطيات عديدة في عدم الالتصاق بما يحيط به والشخصيات التي تحمل بذور هذا الشعور تتصرف و كأنها في عالم من الخواء والفراغ الداخلي، ومن هنا يتساءل الباحث عن قدرة صباح الأنباري في الجوس والتعمق في شخصياته التي كان الاغتراب العقلي أو النفسي ملازماُ لهم.

تحديد المصطلحات:

مفهوم الاغتراب لغة واصطلاحا:

لغــة :

ورد في لسان العرب في مادة غرب، والغرب الذهاب و التنحي عن الناس. وقد غرب يغرب غربا و أغربه:نحاه،والغربة والغرب:النوى و البعد التغرب:" البعد، الغربة و الغربة:النزوح عن الوطن و الاغتراب[١].

يرد مفهوم الاغتراب في القواميس الإنكليزية بعبارة "Alienation",و هي ترد الى الجذر اليوناني "Alienation" , و يكون مضمونها انتقال ملكية شيء ما إلى آخر أو انتزاعه أو إزالته.

اصطلاحا :

يعرف مفهوم الاغتراب في المعجم الفلسفي بأنه مرض نفسي يحول دون سلوك المريض سلوكا سويا، و كأنه غريب عن مجتمعه، ولذلك يلجأ إلى عزله عنه[٢]، و يعرف كذلك في معجم علم النفس بأنه "جملة الأعراض التي يبدو معها المريض و كأنه غريب عن المجتمع الذي يعيش فيه"[٣]. وفي معجم

مصطلحات(هيجل) فإن الأغتراب العقلي يقترن في فقدان الإدراك والعزلة عن الآخرين إذ يعرفه بأنه غيبوبة الإنسان العقلية، أو الذهول والإشارة إلى غربة الأشخاص بعضهم عن بعض[٤]،و يرى هيجل المثالي أن اغتراب النفس والعقل يكمن في اتحاد جدلية الذات والموضوع، الفهم والحس والفكر والوجود[٥].

إن البحث في موضوع الاغتراب يحيلنا إلى الأساسيات التي تتحلى بها الشخصية في تعاملها مع الآخرين انطلاقا من الكوامن الداخلية النفسية والعقلية لذات الشخصية، وهي الوضعية التي ينال فيها القهر والتسلط والعبودية من جوهر الانسان، وهو الحالة التي تتعرض فيها إرادة الانسان أو عقله، أو نفسه للاغتصاب والاعتداء والتشويه[٦] ، وعند بعض الباحثين أن الاغتراب العقلي والنفسي و ما يجر معه من غربة المكان ليس حديث، و إنما كان العقل قبل الاغتراب مطبقا، ولكنه بعد تطور الوعي، دخل في إطار الغيبيات والمحرمات و التقاليد الرادعة، و ظل سادرا في هذا الإيغال حتى صار غريباً عن ذاته[٧].

كما استعمل مصطلح الاغتراب بمعنى أدبي، فقد ذهب البعض من المفكرين إلى أن الاغتراب أصلاً في الإنسان من نزول أول[٨]. بشريين آدم وحواء الى الأرض إذ ابتعدا عن الجنة والرفقة الأولى لهما[٩]، و يعرفه أبو بكر موسى بانه شعور الفرد كونه غريبا عن ذاته، لا يجد نفسه كمركز لعالمه و انه خارج عن الاتصال بنفسه كما هو خارج عن الاتصال بالآخرين[١٠]، و توضح هورني بصدد الاغتراب وتمكنه من بعض الشخصيات التي تجد في دواخلها مكمنا صالحا في الثبات، لذا فهو أي الاغتراب ما يعانيه الإنسان المغترب في الانفصال عن ذاته، إذ ينفصل الفرد عن مشاعره الخاصة و رغباته و معتقداته وهو فقدان الإحساس بالوجود الفعال[١١] .

مفهوم الاغتراب فلسفيا:

أقدم الكثير من الفلاسفة و المنظرين و الباحثين في بلورة مفهوم الاغتراب، سواء أكان ما منه عقليا أم نفسيا، وأخذ مسارات عديدة في البحوث التي أجروها كلٌ من منطلقاته الفلسفية والنفسية لإنارة الآخرين في فهم و استيعاب مفهوم الاغتراب مفاهيما واصطلاحيا وإجرائياً، و قد ركز الفلاسفة ما بعد حقبة الإغريق على ماهية الاغتراب وعلاقته مع وجود الإنسان المعاصر في الوجود، و ركزوا على أن الإنسان لا يمكن أن ينفصل عن الوجود من خلال هيئته و كيانه الداخلي البحت، وهو انعكاس لصورة وجود[١٢]، في الأزل، إذ أن "الانسان يعيش غير وجوده الحقيقي، او أن له وجود آخر يكون طارئا، وجد فيه دون إرادته، فالإنسان موجود في عالم المثل أو العالم المطلق، و بات يعيش حياة أرضية ناقصة زاده فيها ما يتذكره من ذلك العالم الأزلي"[١٣]، لذا فإن" فلوطين يربط بين الموجود الحاضر و الموجود الأزلي الذي لا يرى والتميز الوحيد الذي يتمتع به الإنسان الحاضر هو سلوته في حصوله على ما سماه الفيلسوف أفلوطين بالفيض الإلهي حينما أشار إلى أن روح الانسان منبثقة من ما يستدل منها على وجود الله ، الذي

يمثل المطلق" إن تفكير الله في نفسه و كماله نشأ عن فيض، وهذا الفيض صار هو العالم، أي أنبثق الكون من الله انبثاقا طبيعيا بحكم الضرورة"(١٤) .

وأبتعدت الفلسفة عن أن تكون في التمركز الفكري بعد ان أستتب الأمر للدين المسيحي و سيطر على مقدرات المجتمعات الغربية سياسيا وفكريا وثقافيا، فأصبح الإغتراب العقلي تعبيراً عن إرادة الانسان ومديات الحرية التي يجب أن يتمتع بها في مجتمع منغلق، ويكون الدين هو الصوت الأعلى في التعبير عن مكنونات النفس البشرية فلسفيا وغيرها من موارد الحياة المختلفة، فتخطى الانسان عن العقل و سار سيرا حثيثا نحو إستلهام صور وتكوينات القوى الميتافيزيقية والتي كانت انعكاسا للإله والسلطة الدينية، واصبح الشك واليقين من المباديْ الأساسية لدى ديكارت ضمن الكوجيتو الخاص به(أنا أفكر إذن أنا موجود)، و لأن التفكير يرتبط بالعقل أصبح الاغتراب عن المجتمع هو بمثابة السؤال الشخصي حول كون الحقائق موجودة أم أنها مفترضة، ومن هنا فإن ديكارت قد رسم مفهوم الإغتراب الذي ورد في عدة مجالات هي:

١ـ الكوجيتو أوالإغتراب الميتافيزيقي: المصطلح الذي يؤسس لإغتراب الأنا عن ذاته، ويثبت حول الاغتراب الميتافيزيقي، فالهوية البشرية تكون في وسط دوامة الانا موجود و بين الانا التي غلفت وجودها الإنسانية بمفهوم التفكير، وهذا الاغتراب يؤدي الى اغتراب الأنا عن ذاته ووحدته العقلية .

٢ـ الاغتراب الأنطولوجي: يشير الكثير من الكتب التي تبحث في الوجود الإنساني إلى أن الإنسان حينما يصاب بذروة الاغتراب إنما يعود مرة أخرى الى السلوكيات الحيوانية، و الأنطولوجيا علم يدرس الوجود بذاته، أي بما هو موجود مستقلاً عن أشكاله الخاصة .

٣ ـ الاغتراب الوجودي: حيث تعيش الذات تجربة الانفعال في نطاق "الأنا أفكر" الديكارتي(١٥) .

وضح ديكارت في فلسفته القوة التي يتمتع بها العقل في اكتشاف اليقين من خلال الدراسات التجريبية التي يجريها الفيلسوف لأية ظاهرة من ظواهر الحياة و العالم الطبيعي الذي يحيط بنا، و التسليم بحرية العقل هو تسليم بحرية الانسان في اتخاذ قراراته بغض النظر عن قوة و سلطة الدولة، و هذا ما أورده الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو في كتابه(العقد الاجتماعي)، و بيَن فيه وجهة نظره عن مفهوم الاغتراب من خلال نسقين مهمين متجاورين: الأول معناه القسم عند البيع للدولة، فيجعل الإنسان من نفسه عبدا و خاضعاً لمقدرات الدولة، وهذا يمثل أعلى درجات السلبية لأنه نوع من (التشيؤ) حينما يتم سلب الإنسان إرادته في الاختيار وإغراق عقله بترهات الحياة، فيضيع عقله و ذاته(١٦)، والجانب الثاني الذي يشكل الجانب الإيجابي من الاغتراب إذ" يتنازل الفرد تنازلاً كاملاً عن حقوقه و قواه العقلية كافة، و يسلمها

الى الجماعة ككل، وهذا التنازل عن الحقوق الطبيعية هو أساس(العقد الاجتماعي)، الذي يربط افراده بما يقررونه في علاقتهم بالسلطة، و هو ما يطلق روسو عليه الاغتراب الكامل"[١٧] .

لم يضع أي فيلسوف من فلاسفة الغرب مفهوم الاغتراب في مكانه الإنساني والإجتماعي و الفكري كما فعل هيجل، حينما فرقه عن اغتراب الملكية و جعلهما في اتجاهين "كشرط أو حالة وجود بوصفه عملية (تحول)، الاتجاه الاول: اغتراب الذات عن ذاتها، والاتجاه الثاني:الاغتراب عن الاخر، و في كلتا الحالتين يتحول الاغتراب إلى عملية إزاحة لموضوع العقل لاسيما عندما تقف الانا الحائرة امام الاخر ، و هذا ما تعكسه التمثيلات المعاصرة لممارسات الاقصاء و العنف و التطرف في مجتمعاتنا المعاصرة"[١٨] ،

ومن خلال مفهوم الازاحة التي تحدث عنها هيجل في عموم أدبياته الفلسفية بخصوص مفهوم الاغتراب الذي درسها من خلال سياقين: الأول: معنى الانفصال، و الثاني معنى التنازل او التخلي "إن انفصال الفرد بينه و بين الجوهر الاجتماعي يؤدي هذا الى استعمال الانفصال عن النفس او الاغتراب الذاتي بوصفه متعلقا بالطبيعة الجوهرية للإنسان التي يحققها و قد يخفق في تحقيقها، و هذا الإغتراب يشير الى ما يحصل من تفاوت بين ظروف الفرد وطبيعته الجوهرية، اما التخلي او التنازل فهو اتحاد الفرد بالجوهر الاجتماعي بتنازله عن فرديته"[١٩]، و ليس كما فعل الفلاسفة الاخرون في تهيئة الأرضية المناسبة لفهم الاغتراب فلسفيا و العلاقة الديناميكية التي تشير الى التواجد الحر والالية المنطقية في تكوين العوالم التي تحيل بهذا المفهوم الى المجال التطبيقي و الاجرائي، و بهذا فان هيجل قد ميز الاغتراب كونه إيجابيا واطلق اسم (تخارج المعرفة بذاتها) "فالمعرفة المطلقة تتضمن الاغتراب بقدر ما تحتوي في ذات الوقت على حركة نحو التخطي والاغتراب السلبي و هو تخارج لم يعرف ذاته الا بوصفه حقيقة قائمة على امتلاك العالم و اندماج الوعي به"[٢٠] .

وعلى الرغم من مخالفة الفيلسوف فيورباخ لهيجل في مجال تعريفه و فهمه للاغتراب العقلي، و لكن الاخير قد وضع لمساته المتأثرة بالدين و ليس العقل كما فعل هيجل، و فهم فيورباخ للاغتراب ينطلق من واقعه المناهض للدين الشكلي البراغماتي السلطوي، و تتضمن مادية الشكل و مثالية المضمون، و بهذا فانه يكشف ان "أساس الاغتراب هو اللاهوت، و ان هذا الاغتراب الديني يرتبط بالاغتراب السياسي، حين يهرب المواطن المستبعد من رحاب الدولة الى رحاب عالم ميتافيزيقي من صنع خياله"[٢١] ، يبني فيورباخ وجهة نظره الفلسفية بخصوص الاغتراب العقلي على أساس الفكرة الرئيسة ان الانسان كائن يعتمد على العقل لوحده الذي يختص بقدرات خاصة أهمها "قدرته على اسقاط كمالاته الجوهرية على كائن من صنعه بتصوره فيما وراء الطبيعة و قدرته على الوعي بالوجود في مجتمع تربطه بأعضائه طبيعة مشتركة"[٢٢] .

تختلف وجهات نظر الفلاسفة باختلاف الحقب الزمنية و تغير الأيديولوجيات السياسية والاقتصادية وغيرها من اهتمامات الفلاسفة التي تتأتى من تغير البيئات الاجتماعية، و كان ماركس مؤسس المادية

الجدلية و التي تختلف عن ما جاء بها هيجل، بالرغم من ان ماركس قد اعتمد في ماديته من النقد الجدلي لمثالية هيجل، ليعطينا ماركس تصور جديد للاغتراب يعتمد على الوسائل الاقتصادية والابعاد السيكولوجية التي يعاني منها الانسان الغربي والناتجة من الاستغلال البشع في الصناعات الكبيرة في اوربا، فكان مفهوم الاغتراب عند ماركس"يتم التعبير عنها في العمل، و في تقسيم العمل، فالعمل بالنسبة له هو التواصل الفعال للإنسان مع الطبيعة و خلق عالم جديد، أي في خلق الانسان لذاته و عقله"[٢٣] ، فالاغتراب بالنسبة لماركس يعني أن الانسان لا يمارس ذاته بقوة فاعلة في عملية فهم العالم، بل "لكون العالم (الطبيعة،الآخرون، وهوذاته)، ما زال مغريا لخلقه أن الاغتراب جوهريا ممارسة للعالم و للذات بشكل سلبي، كما لو ان الذات في حالة انفصال عن الموضوع"[٢٤]، يحدد منشئ الماركسية اهم المفاصل الرئيسة للاغتراب من خلال نظريته الاقتصادية وعلاقتها بالإنسان في خضم الإنتاج الصناعي والذي يجعل من الانسان سلعة اقتصادية تباع وتشترى، واغتراب الطبقة العمالية كمحصلة لتقسيم العمل في المجتمعات الرأسمالية الغربية واصلها(العمل المغترب)[*]، وماركس يعد هذه الممارسات غير الإنسانية كظاهرة اجتماعية و تاريخية تنامت و تعقدت و أسست حالة الاغتراب في داخل كل عامل من عمال السيطرة الرأسمالية، و يميز ماركس نظرا لذلك مفهوم الاغتراب بما يأتي :

١ـ اغتراب الانسان من الطبيعة بوصفه كائنا عقليا، و جزءا من الطبيعة ذاتها مختلفا عنها و متصارعا معها .

٢ـ اغتراب الانسان عن ذاته، بوصفه كائنا سيكولوجيا يمتلك ذكاء عقلي في التأمل و التجريد

٣ـ اغتراب الانسان عن وجوده ككائن نوعي، بوصفه كائنا اجتماعيا بالطبيعة المؤنسة، و بالضرورة البيولوجية أيضا .

٤ـ الاغتراب الذي يتميز به الانسان عن غيره من الكائنات بوصفه كائنا له خصائص وراثية وبيئية و عقلية متباينة[٢٥].

إن المقاربة الفلسفية بين الاغتراب و بين إرادة الانسان مقاربة وجودية يلجأ اليها الانسان في تحرير ذاته الداخلية وتنعكس بالضرورة بالتصرفات و السلوكيات مع الاخر، الانا هي التي تبغي السيطرة، و الاخر هي القدر المحتوم على الانسان،" أن يواصل تفوقه عبر نبذ الميتافيزيقيا التي رسمت التصورات الالهية لخلق الانسان في مواجهة الاقدار البائسة التي تجعل هذا الانسان مستسلما و خانعا و مغتربا للقدر الذي صاغته عقول مريضة تنبذ الحياة، و تعيش الانحطاط"[٢٦].

إن نيتشه في فلسفته لا يبتعد عن مجتمعه، و التحولات و المتغيرات التي حادت به و دفعت بنيتشه الى تحديد الاقدار كلازمة وجودية في حياة الإنسانية، و من هنا فان الابعاد التي حددها نيتشه في تعامله مع مفهوم الاغتراب هي:

١ ـ اغتراب بسبب العمل .

٢ـ اغتراب مبعثه ميكانيكية التوازن المجتمعي الذي يحاول أن يبعد افراده من الخضوع للأخرين، و جعل الانسان وسيلة.

٣ ـإحساس نيتشه بالتنافر الحضاري و انسلاخه عن القيم الأساسية لمجتمعه، و القيم السائدة في مجتمعه.

٤ـ حكمه على انسان عصره، بالضياع و فقدان الهدف ، وذلك لأنه انسان لا يملك اي احقية، و ليس لديه اي هدف او غاية"[٢٧]

إن النسق التراكمي لمختلف العلوم تشتغل على مفهوم الاغتراب العقلي، فالنسق الأول هو النسق الاجتماعي و يتركز في ابتعاد الفرد المغترب عن منظومة المجتمع و عن كيانه الاجتماعي الذي ينتمي اليه، والنسق الثاني النسق النفسي السايكولوجي و هذا لابد منه في إحساس ومشاعر، و الانسان المغترب حينما يشعر بان العزلة لابد منها، وظهور الانكفاء الذاتي سواء كان في عمله بالمصنع او في وجوده كعامل أساسي في الماكينة الصناعية التي تستغل الانسان و تعامله بكثير من القهر و التسلط ، اما النسق الثالث فهو ديني بحت و يتركز في الضغط الحاصل على الانسان بكون عدم القدرة في تحديد نوع الإرادة التي يمتلكها الانسان و الانفصال عن الإرادة الإلهية و البقاء في مجال الإرادة الحرة للفرد .

المبحث الثاني:أنواع الاغتراب في النص المسرحي

أولا: الاغتراب النفسي: يعد النص المسرحي منظومة تعمل بانساق متحركة وليست ثابته، فالمنظومة السيكولوجية التي تحدد الأنماط النفسية للشخصيات التي تعد المحور الأساس في النصوص المسرحية على مختلف مذاهبها و تياراتها و صورها و اتجاهاتها، فيحدث الاختلاف و المغايره في السلوك و التصرف ما يستدعي أن يكون انساناً غير سوي، فيمثل الاغتراب العقلي في أبرز معانيه "اغتراباً عقليا مرادفاً للجنون ذاته، إذ ينفصل جزء من الذات انفصالا تفكيكي عن الجزء الآخر، ينتهي الى تناثر الشخصية في تباعد مكوناتها و اجزائها"[٢٨]، إن الشخصية الإنسانية في الواقع يتردد صداها في النص المسرحي فالاغتراب العقلي السيكولوجي يظهر في الشخصية المسرحية و تحمل معنى انفصال الفرد عن ذاته "فالفرد يصبح منفصلا عن نفسه، وهذا الانفصال عن الذات الذي يؤكده(فروم)، يتمثل في التباعد عن طبيعة المرء الجوهرية ووضعه العقلي[٢٩].

والنص المسرحي يمثل أرضية مناسبة للغوص في مفهوم الاغتراب العقلي، حين يتم رسم مسارات اشتغالاته الفنية والجمالية، فالعناصر والأصول المكونة للنص المسرحي يحمل في طياته الشخصية التي تعاني من الاغتراب العقلي، وتكون النوازع التي يتحرك بها هاملت في مسرحية (هاملت)، تؤكد ان هاملت "يلف بغمامة من الكآبة، لاسيما في الفصل الأول و منها القنوط و العجز، انها تقوض اسوار عقل

هاملت"[٣٠]، وتشترك نصوص شكسبير الفكرية العميقة الغور في الشخصيات الانسانية بوجود دلالات كبيرة وكثيرة في الاغتراب الداخلي بسبب مختلف النوازع البشرية و ضغوطات الاخرين على تلك الشخصيات، في مسرحية (ماكبث) لشكسبير أيضا، يصبح الطامع بالسلطة بضغط من زوجته الليدي ماكبث معزولا عن العالم الخارجي و تنعكس حالة الاغتراب من خلال سلوكياته و تصرفاته و لا يستطيع من التغلب على احساسه بالفراغ الروحي والعجز، فهو :

ماكبث: ليس الاضطراب الغريب الذي استحوذ علي، و هتك مستودع سري، الا نتيجة حداثة عهدنا بالشر وعدم تصلبنا في مراسه، انا لم نزل فتيين في الاجرام[٣١]

ثانيا: الاغتراب الاجتماعي: بعد الاغتراب الاجتماعي صنو للاغتراب النفسي، و يبان في حياة الفرد المجتمعي، و تكون دلالته العزلة الاجتماعية و هي ليست حرفيا الانكفاء المكاني و انما الانكفاء الروحي والعقلي و النفسي "حيث يجد الفرد نفسه عاجزا تماما عن إتمام ما يسود المجتمع الذي يعيش فيه من أنظمة اجتماعية فاسدة، هذه الأنظمة تقف حائلا دون تحقيق أهدافه و تطلعاته و رغباته، مما يدخله في مجال العزلة الاجتماعية"[٣٢]، فضلا عن انها تاتي بمعنى التحلل من الأعراف و القيم السائدة في المجتمع الذي تعيش فيه الشخصية "فليس من الواقع ان يسود السلام و الانسجام، و تكون روح التذمر مستترة و الشهوات والرغبات مكبوته بصورة سطحية و في حالة من التأهب للانفجار"[٣٣]، و كما في النص المسرحي الواقعي في انساقه الاجتماعية التي تلقي الضوء على الفئات المهمشة و المغتربة عقليا، و التي لديها شعور واسع بالاقصاء و التهميش في المجتمع، إذ "قاربت الواقعية في مواضيعها لغة و مواقف الحياة اليومية وابراز أفعال وسلوكيات و تفاصيل الحياة اليومية للشخصيات في ضوء انتماءاتها و أوضاعها الشخصية"[٣٤]، و في مسرحية الحضيض للمؤلف الروسي تشيكوف، نشاهد الاغتراب العقلي المنعكس من الواقع ذي المرجعيات الاجتماعية ماثلة في السياق و النسق الاجتماعي عن طريق الشخصيات التي تضع مصائرها في حالة ضياع دائم لما تعاني منه في العجز واللاجدوى في سلوكياتهم وافعالهم، فلا وجود لمعنى الحياة عند الشخصيات" اذ انهم يتركون مصائرهم مرتبطة بالأحوال والظروف الاجتماعية البائسة و المؤلمة لكل طبقات المجتمع مثل (اللص، النبيل البائس، المومس، المزارع ، رجال الدين)"[٣٥]

والنصوص المسرحية التي كتبت في الغرب لم تدخر جهدا ابداعيا في تأشير مساوئ الأنظمة الرأسمالية او الأنظمة الديكتاتورية في زمن هتلر، لقد باشر بريخت الكاتب المسرحي الألماني في التنويه عن الوضع الداخلي لألمانيا ابان صعود الحزب النازي و تسلم هتلر لمقاليد السلطة ، وظهور محنة المثقف او المفكر و المثقف في عزلته عن المجتمع و اغترابه، ففي مسرحية (٩٩ في المئة ...الخوف و البؤس في الرايخ الثالث)، تصور اليات القمع و الترهيب في محاولة السلطة في الوقوف في وجه المثقفين

الذين لهم التأثير العميق و الكبير على عقول الجماهير و المجتمع برمته، لقد كتب بريخت هذه المسرحية وهو يشعر بأن الحكم النازي سيدمر كل ما بناه الفلاسفة و الكتاب في الحقب الماضية، و كذلك الكاتب المسرحي الأمريكي (يوجين اونيل)، في مسرحيته (القرد الكثيف الشعر)(*)، و يبين في هذه المسرحية حالة الانكفاء الذاتي و العزلة المكانية، و يمثل يانك فئة محددة من المجتمع الأمريكي "ان القرد الكثيف الشعر انما هو رمز الانسان الذي فقد الشعور بالانتماء مع الطبيعة، هذا الانتماء الذي كان يتمتع به قديما كحيوان، و الذي لم يستطع بعد ان يكتسبه على مستوى روحي، و هكذا يجد الانسان نفسه في الوسط بين الأرض و السماء"(٣٦) .

ثالثا: الاغتراب الديني: الاغتراب الديني هو "حالة من حالات الموت الروحي الذي يعني الانفصال عن الله عن طريق المعصية و الذنوب و الخطايا، و لذلك يدعو الله الانسان أن يخرج من حالة الموت و العمى إلى روح الوجود"(٣٧)، و الاغتراب الديني ظهر بشكل ملفت للنظر من خلال مسرحية فاوست للكاتب المسرحي الإنكليزي كريستوفر مارلو، و فاوست يمثل الانسان المغترب عقليا ، ففي "حالة فاوست تجاوز على حدود وضعها الله للبشر ، فالحلف مع الشيطان هو اخطر أنواع التحدي ليس لإرادة الدولة او الكنيسة، بل هو التحدي لإرادة الله في البشر، و قد التجأ الى السحر الأسود و علم استحضار الأرواح ، و هذه بداية الخروج عن الإرادة الإلهية نحو مجال الشيطان، الذي قاده نحو الهلاك"(٣٨) .

إن الاغتراب العقلي يجد صداه مفاهيميا و اصطلاحيا و اجرائيا في المجتمعات الإنسانية كافة ، منذ أن وطأة قدما ادم و معه حواء الأرض و شعورهم بالاغتراب وهم على الأرض و ليسوا في ملكوت الله سبحانه و تعالى، و إلى أن يفنى الانسان من على وجه البسيطة فإن الاغتراب يعاني منه الانسان حينما يجد نفسه غريبا عن ما يحيط به من مجتمع يتوافق مع المغترب او يختلف معه، و تداول الفلاسفة هذا المفهوم من خلال الرؤية الكاملة لمجتمعاتهم و ما يعانيه الفرد في تلك المجتمعات.

سمات الاغتراب في نصوص صباح الانباري

النص العراقي في المهجر يحتوي على امكانيات كثيرة في داخل النص او ما يتمخض عنه النص من مضامين و افكار ضروري الكشف عنها لما لها من فرادة خفية في التأسيس العام للحدث المسرحي و الشخصيات ضمن حصر التحليل بالقراءة والتلقي والاستيعاب، وعلى وفق الكشف عن اشتغالات الاغتراب فإن التحليل يشتغل بشكل استراتيجي على كل نأمة ظاهرة او خفية بما لا يقبل الشك بتوظيف الحدث في ابراز ظاهرة الاغتراب في شخصيات النص، و الاشتغال بمنطقة التاريخ و الزمن و حصول الوضوح و الفهم من قبل المتلقي في التصرف و السلوك العام للشخصية .

الكاتب : صباح الانباري .... مسرحية: طقوس صامته(*)(٣٩).

تتالف شخصيات النص المسرحي من :

الصامتون:

الرجل ذو الملابس البيض

زوجته

ابنه

الرجل القصير

الشاب دميم الخلقة

الرجل الأول

الرجل الثاني

السيّاف

شابتان

مجموعة من الناس

إن الازمنة في النص تبدا بالانهماك الذاتي و هذا ما يستدعي ان تكون الشخصيات ذات امكانية في طي الزمن بشكل مستمر مع وجود توقفات ذهنية خالية من الارباك الفعلي للتصاعد الدرامي للفعل، فنلاحظ أن الطرف الاول هو الكاتب و ما يمثله من شخصية موجودة في النص و يأخذها الوعي الى مديات حقيقية في الواقع المعاش، و تكون في بعض الاحيان ذات حضور عادي جدا و لا تحمل في تلابيبها اية اهمية على المتلقي و نابعة من الخطاب الادبي للنص المسرحي:

المصمت الأول: تطفأ الأضواء، و يعم المسرح صمت مطبق، و على نحو مفاجئ تشق الصمت ضربة صنج، و صرخة نسوية و عويل تتعالى ضربات الطبول سريعة متعاقبة نسمع من خلال الظلام أصوات ابواب تفتح ثم تغلق بقوة محدثة جلبة و ضوضاء يخرج الناس مهرولين لاهثين في الظلام اضاءة مركزة ومتحركة نرى اثناء توهجها الرجل ذا الملابس البيض واقفا اقصى يسار المسرح يبدي تعجبه و استغرابه من حركة الناس(ص ٦٤)

فالاغتراب يأخذ مجاله في النص بأسلوب الصمت و تكون الحركات هي المعبرة عن كوامن تلك الشخصيات المضطربة و المنعزلة و المنكفئ على ذاتها ، انها خارج الزمن و خارج المكان الذي قد تتصور هي انها تعيشه بأمان .

يحاول الرجل ذو الملابس البيض التخلص من الحبال...يسمع صوت صفير وهمهمة ...يبلوى على ايقاعها محاولا فك وثائقه محاولا فك وثاقه...يصعد السياف إلى الدكة...يحشر سيفه تحت وثاق الرجل ذي الملابس البيض...يقطعه عن الحركة كما لو كان تمثالا من الحجر... تتوقف حركة الرجال ....(ص٦٦) .

الذي يكون مسيطرا على شخصيات النص لا يحدد من هو المسؤول عن هذا التشرذم النفسي و التهافت الجسدي، انها حركات راقصة معبرة عن الاستحواذ الذي يشعر المغترب، و كان الاستحواذ من قبل السلطة لكل ما يتمتع به الشعب هو السبب في الاكتفاء بالحركات و لا يوجد أي صوت احتجاج ضد السلطة، فالمسميات التي وضعها الانباري في نصه تضعنا امام وجهة نظر اساسية بان الجميع يعانون من الاغتراب الداخلي، وما هم الا كائنات موجودة، و هذه العناصر البشرية هي التي تكون هذا العالم و إن تباعدت بهم الازمنة او الامكنة و لكن الجميع يعيشون في هذا العالم و قد توارثوا من الذين سبقوهم ويرثون الذين سيأتون من بعدهم:

يتجه الرجل ذو الملابس البيض، و امراته، و ابنه الصغير نحو الجسر ... يتوقف هو و امراته عندما يجدان جثة الفتاة التي في مقتبل العمر عند اول الجسر بينما يستمر الطفل بالعبور إلى الضفة الأخرى التي تبدو و كأنها كتلة من نور.... بنحيات الجثة جانبا ... يغطيانها ... يستمران بالعبور، وعندما يصلان الى منتصف الجسر.... يظهر عدد من الرجال المسلحين... يشكلون دائرة حول الرجل ذي الملابس البيض و امراته...تضيق الدائرة ... تهمله انظارهم ، و تتجه نجو جسد امراته ...يحاول حمايتها بحركات مهددة، و قبل ان يضرب أحدا منهم نسمعه ضربة صنج(ص ٦٨)

إن الحوارات و المواقف التي يتبناها الكاتب في نصه لا يمكن ان تكون واضحة و صريحة و مباشرة والا فإنها ستفقد معناها و قوتها و انما يجب أن تتحرك معرفيا ضمن اليات الحركة المستمرة التي لا تتوقف ابدا، و التي تكون ضمن المعاني المباشرة و انما ضمن الإيحاء و الرمز، فظاهرة الاغتراب تتمثل في النص الحواري و اكتشاف تأويلاته ضروري جدا و يعتمد على امكانية المتلقي في الغوص بعيدا في الحوارات و سبر اغواره من اجل وضع اليد على الحقائق التي كانت موجودة في لحظة حدوث الحدث المسرحي:(مصمت خيال الظل).

يكوّن الرجال حلقة حول الرجل ذي الملابس البيض وهم يشهرون في وجهه حرابهم .. يطعنونه طعنة واحدة في آن .. يستمر الرجل ذو الملابس البيض واقفاً لحظة وهو ينظر صوب الجسر ثم يسقط ميتاً ... يحاولون الوصول إلى الضفة الأخرى نرى ألسنة النيران وهي تتصاعد إلى فوق بينما راح الجميع يتقفزون ثم يتراجعون ... يمنعهم الرجل القصير ذو الملامح القاسية واللحية المدببة من التراجع ... يتقدمون مرة ثانية ثم يتراجعون ... يتقدم معهم... يقف في منتصف الجسر مندهشاً، فزعاً، لأن صورة الطفل الشبحية

بدأت بالارتفاع تدريجياً مع ارتفاع اللهب .. صورة الاطفال في مؤخرة المسرح تبدو وكأنها تهيمن على كلّ المكان.. تتوقف الحركة على المسرح تماماً بينما تعلن الموسيقى نهاية الليل وانبلاج الصباح الجديد(ص ٧٠)

هذا الواقع امامنا نراه بأم اعيننا و لكن يبقى يجول في اذهاننا بوصفه صورا بحاجة الى اعادة تكوين و ان كان البعض منه يتم تأويله بحسب الزاوية التي يرى بها المتلقي لكل الموجودات مرة واحدة او تجزئتها حسب قوة كل جزء واحد بمعزل عن الاخرين، فالتفاحة في الواقع تأخذنا إلى مستويات عديدة بتغير المتلقي الرائي او القارئ وحركات الأجساد تتحول إلى مادة افتراضية بحسب القارئ الفطن و حسب المستوى الفكري والثقافي لكل قارئ، وهكذا مع المكونات الاخرى الموجودة في النص، فيتحول الاغتراب الى تعرية الواقع، بافتراض ان ما يحدث في الواقع يمكن أن يحدث في الحلم، بمعنى إن ما يحدث في الواقع كأنه لا يمكن حدوثه إلا في الأحلام، و سواءاً كان كان هذا الحلم هروبا من جحيم يتموضع في زمن فعلي، أم تجسيداً لوقائع تستجيب لآليات الحلم في لا معقوليته أو في تشظيه، فإن هذا الوجود المادي لا يحتكم إلى تقليص مساحة الوهم بواقعية ما يحدث بفضاء المسرح بل إلى تعميقه كما لو أنه يحدث في الحلم .

الاستنتاجات :

١ـ ظهر مفهوم الاغتراب العقلي و النفسي حينما ظهرت التعقيدات المتعلقة بالتكنولوجيا والتطوتر التقني في الحياة العامة للإنسان.

٢ـ اهتم الفلاسفة بمفهوم الإغتراب كونه يحمل في طياته نكوصا و تراجعا في القيم الإنسانية .

٣ـ اهتم الكتاب المسرحيون في مفهوم الاغتراب و تم تجسديه من الناحية النفسية من خلال شخصيات نصوصهم المسرحية .

٤ ـ وظف الكاتب العراقي المسرحي المغترب صباح الانباري مفهوم الاغتراب االنفسي في العديد من نصوصه المسرحية ،و لكونه يعيش حالة الاغتراب الفعلي في البلد الذي يعيش فيه .

خاتمـــه :

يعد الاغتراب من المفاهيم القديمة الحديثة، إذ أنه يمثل الحالة الأمثل للاستلاب الروحي للأنسان في مجتمعه، و الابتعاد عن التجاوب مع مجريات المتغيرات المختلفة التي تحدث في بيئته، و الاغتراب يكون تلازما جادا بين المرض النفسي إن استمكنت منه الكآبة و العزلة ، سواء في بلده او في البلد الذي يهاجر اليه، و يعد الانباري من كتاب المسرح البارزين الذين جسدوا حالة الاغتراب في نصوصهم المسرحية و قد ساعده ذلك في كونه مغتربا و كذلك الإحساس الداخلي بخواء و فراغ الحالة الانسانية التي يعيشها بعيد عن موطنه الأصلي .

الهوامش:

١- ابن منظور، لسان العرب/ مكادة غرب، ج٢ ، ص١٣١ .
٢- إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي،(مصر، القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ،١٩٨٣)، ص١٧ .
٣- فرج عبد القادر طه، و آخرون ، معجم علم النفس و التحليل النفسي ، (بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، د. ت)، ص٥٩ .
٤- ميخائيل انوود، معجم مصطلحات هيجل ، ترجمة: أمام عبد الفتاح أمام ،(مصر ـ القاهرة ، المجلس الاعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ، المركز العربي المصري ، ٢٠٠٠) ، ص ٤١٢ .
٥- هربرت ماركوز، العقل و الثورة: هيجل و نشأة النظرية الاجتماعية ، ترجمة : فؤاد زكريا ، (الهيئة المصرية العامة للتاليف و النشر، دار الكتاب العربي،١٩٧٠) ، ص ٤٦ .
٦- علي وطفة ، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية ، (الكويت ، مطابع الاميرة ، ١٩٩٨) ، ص٢٤٧ .
٧-منير الحافظ، هدم العقل المفارق (اشتغالات ملكة العقل قديما وحديثا) ،(الأردن ، دار الخليج للنشر و التوزيع، ٢٠٢٠) ، ص ١٦ .

٨- عبد اللطبق محمد خليفة ، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، (مصر ، دار غريب للطباعة و النشر و االتوزيع، ٢٠٠٣) ، ص ٢٣
٩- أبو بكر مرسي، ازمة الهوية في المراهقة و الحاجة للارشاد النفسي ، ط١ ، (مصر ، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٢) ، ص٢٣ .
١٠- عادل بن محمد العقيلي ، الاغتراب و علاقته بالامن النفسي ، (الرياض ، مطبعة جامعة الرياض ، ٢٠٠٤)، ص ١١٥.

١١- عبد الكريم هلال خالد، الاغتراب في الفن، (ليبيا ـ بنغازي، منشورات كلية الاداب ، ١٩٩٨) ، ص ١٤ .
١٢- عقيل مهدي، الجمالية بين الذوق و الفكر، (بغداد ، مطبعة سلمى الحديثة ،١٩٨٨) ، ص٥٣ .
١٣-حبيب البشاروني ، الاغتراب في الذات ، (الكويت ، مجلة عالم الفكر، العدد ١ ، ١٩٧٩)، ص٧٠ .
١٤- نبيل راغب ، موسوعة الفكر الادبي ، (مصر ـ القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨) ، ص٤٥ .
١٥- مصطفى الخشاب ، دراسات في الاجتماع العائلي ،(بيروت ـ لبنان ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر و التوزيع ، ٢٠٠٥) ، ص٩ .
١٦- محمد امين بن جيلالي، نقد مفهوم الاغتراب عند هيقل، مجلة الاستغراب، (بيروت، العدد١٤ ،٢٠١٩)، ص ٢٣١٢ ـ ٢٣٢ .
١٧- قيس النوري،الاغتراب اصطلاحا و مفهوما وواقعا،مجلة عالم الفكر،الكويت العددج١ ،١٩٧٩)، ص٢٠ .٢١ .
١٨- اقبقال محمد رشيد صالح ،الاغتراب ـ التمرد قلق المستقبل، (عمان، دار صفاء للنشر و التوزيع ، ٢٠١١) ، ص ٩٦ .

١٩- نبيل رمزي اسكنندر، الاغتراب و ازمة الانسصان المعاصر ،(الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٨)، ص ٩٧

٢٠- االمصدر نفسه ، ص٩٧ .

٢١- المصدر السابق نفسه ، ص٩٧ .

٢٢- أريك فروم ، مفهوم الانسان عند ماركس، ترجمة : محمد سيد رصاص ، (دمشق ، دار الحصاد للنشر و التوزيع ، ١٩٨٨) ، ص٦٣ .

*-العمل المغترب: هو اغتراب العلمل على وفق مستويات بحددها (ماتركس)، اغتراب في معنى العمل، اغتراب في ناتج العمل ، اغتراب في تقييم العمل، اغتراب في أدوات العمل . ينظر: (كارل ماركس ، مخطوطات كارل ماركس لعام ١٨٤٨، ترجمة: محمد مستجير مصطفى ،القاهرة ، دار الثقافة الجديدة ، دار الطباعة الحديثة)، ص٧١ ـ ٧٧

نبيل رمزي إسكندر، الاغتراب و ازمة الانسان المعاصر، المصدر السابق ، ص ٨٧ .

٢٤- فريدريك نيتشه، اصل الاخلاق و فصلها، ترجمة: حسن قبيسي ، ()بيروت ـ لبنان ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع ، ١٩٨١) ، ص٣٨ ـ ٣٩ .

٢٥- هجران عبد الاله الصالحي، الانسان و الاغتراب في فلسفة نيتشه ،(دمشق ، دارلا الفرقد للطباعة و النشر ، ٢٠١٥) ، ص ٩٨ .

٢٦- احمد الجماعي ، الاغتراب النفسي و الاجتماعي ، (القاهرة ، دار الوراق للطباعة و االنشر و التوزيع ، ٢٠٠٩) ، ص ٢٣

٢٧- ريتشارد شاخت، الاغتراب، مصدر سابق، ص ١٨٨ .

٢٨- جون دوفر ولسون، ما الذي يحدث في هاملت، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا ، (بغداد ، دار الرضشيد للنشر ، ١٩٨١) ، ص ١٩٨ .

٢٩- وليم شكسبير، مسرحية ماكبث ، ترجمة : خليل مطران ،(مصر ـ القاهرة ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، ٢٠١٢) ، ص٤٤ .

٣٠-حسن سعد السيد، الاغتراب في الدراما المصرية المعاصرة بين النظرية و التطبيق،(مصر ـ القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٨٦) ؤ، ص ١٨ .

٣١- قيس النوري ، الاغتراب اصطلاحا و مفهوما وواقعا ، المصدر السابق ، ص ٢٥ .

٣٢- ماري الياس و حنان القصاب، المعجم المسرحي، (بيروت ـ لبنان ، مكتبة لبنان ناشرون،١٩٩٧)، ص٥١٧ ـ ٥١٨ .

٣٣- مكسيم غوركي، مسرحية الحضيض، ترجمة :عبد الحليم البشلاوي، (مصر ـ القاهرة ، مكتبة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ،١٩٦٢) ، ص١٦ .

*- دراما تعبيرية تحكي عن شخص اسمه يانك و هو رجل يتوسل للانتقام من أولئك الذين سلبوه ثقته بنفسه بتفوقهم عليه، الا انه لا يظفر بمبتغاه وة يدرك انه اعجز من ان يتقدم من الأغنياء. للمزيد بنظر: ادوارد جون غاسنر ، قاموس المسرح مختارات من قاموس المسرح العالمي، ترجمة: مؤنس الرزاز، (بيروت، المؤسسة العامة للدراسات و النشر ،١٩٨٢)، ص١٥٧ .

٣٤- يوجين اونيل، البقرد الكثيف الشعر ،ترجمة/: جلال العشري، (مصر- القاهرة ، الإدارة العامة للمعارف ، ١٩٦٢)، ص ٢٢ .

٣٥- صلاح الدين احمد الجماعي، الاغتراب النفسي و الاجتماعي و علاقته بالتوافق النفسي و الاجتماعي، مصدر سابق ، ص٥١ .

٣٦- كرستوفر مارلو، مسرحية مأساة دكتور فاوستس، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الاداب ، ٢٠١٤) ، ص١٧ .

٣٧- صباح الانباري، المجموعة المسرحية الكاملة، المنجلد الأول: المسرحيات الصوامت ، (بيروت ، منشورات ضفاف ، ٢٠١٧) ، ص ٦١ ـ ٧١